

بين الدين والازمة الاقتصادية.. الجيل الجديد يغير السعودية

بقلم: ميخال يعاري

من الصعب دحض الادعاء القائل بأن السياسة الخارجية السعودية محددة وتُدار في اطار المصالح السعودية الايراني. منذ اندلاع الربيع العربي في العام 2011 توسيع وتعقّد المصالح بين السعودية وايران واستنفرت مقدرات المملكة. وعلى الرغم من أهميته، إلا أن التهديد الايراني لن يحسم كما يبدو مصير الدولة، بل ما سيحسمه هو سلوك آل سعود في وجه التحديات الداخلية.

في هذه الاثناء يتعرّز في اوساط القيادة السعودية الادراك بأن التحدى الاقتصادي والاجتماعي، مثل البطالة ونقص الشقق السكنية والتمييز ضد النساء والاقليات وعدم وجود الرضا الذاتي، تضر بشرعية النظام بشكل غير مسبوق، الامر الذي يهدّد النسيج الاستثنائي والنهش في المملكة. وفوق كل ذلك تحلق ازمة الهوية الآخذة في التعمق في المجتمع السعودي. الكثير من المواطنين، وخصوصا في اوساط الشباب، لا يمكنهم حل التناقض بين نمط الحياة الديني المتشدد الذي يتأسس على المذهب الوهابي للإسلام وبين الاطلال المتواصل على نعيم الغرب والحداثة. كلما ازداد التشدد الديني وتعقّد كلما تحول الانترنت والمجال الفردي الخاص الى ملجاً لائلئك الذين صافوا ذرعاً أو يجدون صعوبة في الالتزام بالموانع والقيود المتشددة.

في الافلام القصيرة التي نشرت في الشبكات الاجتماعية مؤخراً، يظهر شباب سعوديون وهم يشكّون بالقيم السائدة ويضعونها أمام التحدى. أحد أبرز هذه الافلام هو اللقاء الوهمي الاستثنائي بين شاب سعودي عمره 17 سنة وبين فتاة امريكية. بلغة انجليزية وبانفعال كبير يعترف الشاب بحبه لها. رغم أن هذه كما يبدو هي المرة الاولى التي يتحدث فيها معها، في اعقاب الاحاديث بينهما تم اعتقاله بتهمة التصرف غير الاخلاقي، وتم اطلاق سراحه بعد اسبوعين. مصير مشابه كما يبدو ينتظر عدد من الشباب والفتيات السعوديين الذين رفضوا في حفلة خاصة وهم يشربون الكحول ويلبسون ملابس غير محتشمة وتحولوا الى نجوم رغم انفهم في الشبكة.

يمكن القول ان الشباب الذين يظهرون في هذه الافلام وغيرها لا يحملون عن قصد وعن وعي لواء الثورة والتغيير الاجتماعي، بل يريدون الاستمتاع مثل باقي الشباب في ارجاء العالم. بعضهم يعيشون نمط حياة

دينى ويتقبلون عبء الفرائض الاسلامية، والى جانب ذلك يأسرهم سحر الاجوار المتحررة.

قائد شاب ومتمرد

حتى السنوات الاخيرة كانت مظاهر كهذه تلقي ردود قوية من قبل النظام والمؤسسة الدينية، ولكن في العام 2015 بدأ تغيير حقيقي من الصعب معرفة نهايته وتأثيراته الان، استبدال القيادة الذي تم في اعقاب موت الملك عبد الله الى تعيين محمد بن سلطان، ابن الملك الحالى سلمان، كولي عهد ثان، وهو الذي يدير المملكة فعليا الان.

ابن سلمان عمره 31 سنة. وعمره الصغير وشخصيته المتمردة والكاريزما الخاصة ادت الى تفكير مختلف تجاه فاعالية الدين في حياة المملكة والملاحيات الواسعة والمبالغ فيها للمؤسسة الدينية وشروطه الدين، تعبير لهذا التوجه هو موقف النظام من النساء. اذا كانت القيادة تعارض بشدة في الماضي دمج النساء في سوق العمل انطلاقا من موقف ديني اجتماعي يقول ان مكان المرأة هو البيت، الان وبتوجه والهام من ابن سلمان تفتح ابواب امام النساء والتي كانت مغلقة في وجههن حتى الان، في مجال الطب والصحافة.

السياسة الجديدة تجاه النساء هي نتاج للواقع وليس نتاج تغير الوعي، بسبب المصاعب التي تمر بها العائلات السعودية في الاعتماد فقط على راتب الرجل، وعلى صوء التقليمات في الدعم الحكومي، تزداد الحاجة الى دمج النساء في سوق العمل من اجل زيادة دخل العائلة. إلا ان الطريق الى هناك مليئة بالعقبات التي يبدو احيانا انه لا يمكن تجاوزها لان دمج النساء في سوق العمل يزيد من حدة المفارقات التي يواجهها الكثير من السعوديين.

تغيير يفرضه الواقع

حتى الاونة الاخيرة كان مقبولا لدى عائلات سعودية كثيرة وجود سائق خاص يأخذ المرأة الى مكان عملها. ولكن من اجل تقليل النفقات يتنازل الكثيرون عن هذه الخدمة، لذلك فان عبء التوصيل يقع على كاهل الرجل، هذا الواقع يؤدي الى ارتفاع الضغط على الجهات المحافظة في المملكة من اجل ازالة المنع عن قيادة النساء للسيارات. الوزن الذي سيعطيه الجمهور السعودي للقيم الثقافية الدينية امام الحاجات الاقتصادية هو الذي سيحدد الى درجة كبيرة شكل المملكة السعودية في العقود القريبة.

السعودية هي دولة صعبة على الهضم حتى من قبل بعض مواطنها. انها دولة مليئة بالتناقضات. ولكن المفارقة ان طابعها هذا هو الذي مكنتها من البقاء امام تحديات ايديولوجية وعسكرية وسياسية. الا ان الوقت يدفعها الان الى اعادة تعريف هويتها. الدمج الصعب بين الدين والتقدم يضع النظام امام تحدي، ولكن بفضل الحكمة السياسية للملوك وقراءة الاصوات المختلفة في الميدان، فقد نجحوا في السير في المياه العاصفة.

صحيح انه يمكن القول انه في السنوات القريبة ستستمر السعودية في التصرف كنظام مطلق يدوس على حقوق الانسان ويستغل المصادر القومية من اجل توسيع الغنى السياسي لعائلة سعود. ولكن هذا لا يعطي على

تيارات التغيير التي تعمل الان في السعودية تحت الرadar الغربي. حملة النساء السعوديات في الشبكات الاجتماعية ضد السيطرة الذكرية على حيا تهن وقرار السلطات تقليص صلاحيات الشرطة الدينية والمؤسسة الدينية، كل ذلك هو جزء من الثورة السعودية الهدئة.

جزء من هذه التوجهات يتم من الاسفل من قبل الجمهور واحيانا بدون تفكير منظم، وبعضها يتم من قبل السلطات. السعودية ستستمر في كونها دولة مميزة وذات وجوه كبيرة تعمل حسب قناعاتها ولا تعذر امام الغرب.

هارتس 12/3/2017